



دور المؤسسات التقليدية في نشر وترسيخ الثقافة العربية الإسلامية في تشاد

The Role of Traditional Institutions in Spreading and
Consolidating Arab-Islamic Culture in Chad

إعداد

د. إبراهيم حسن السليك

Dr. Ibrahim Hassan Al-Selik

رئيس قسم التاريخ بجامعة آدم بركة بأبشة ومحاضر بالمعهد العالي لإعداد المعلمين
بأبشة

Doi: 10.21608/kjao.2025.464406

٢٠٢٤٥ / ٨ / ٢

استلام البحث

٢٠٢٥ / ٩ / ١٥

قبول البحث

السليك، إبراهيم حسن (٢٠٢٥). دور المؤسسات التقليدية في نشر وترسيخ الثقافة العربية الإسلامية في تشاد. *المجلة العربية لعلوم السياحة والضيافة والآثار*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٦ (١١)، ١٩٥ - ٢١٢.

<http://kjao.journals.ekb.eg>

دور المؤسسات التقليدية في نشر وترسيخ الثقافة العربية الإسلامية في تشاد المستخلص:

تبحث هذه الدراسة في دور المؤسسات التقليدية في نشر وترسيخ الثقافة العربية في تشاد. وقد حاولنا تقسيم الدراسة إلى جزأين. يتناول الجزء الأول تلامس المجتمع التشادي مع اللغة العربية ويوضح أن هذا التلامس حدث بعد وصول العرب إلى المنطقة وتطور على مراحل عدة. أما الجزء الثاني فيتناول المؤسسات التي نشرت الثقافة العربية في المنطقة، والتي قام العديد منها بهذا الدور وأصبح الشمعة التي أضاءتها، وما زالوا كذلك بإذن الله.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، العربية، التعليم، حوض بحيرة تشاد، السودان الأوسط.

Abstract:

This study examines the role of traditional institutions in the dissemination and consolidation of Arab culture in Chad. We have attempted to divide the study into two parts. The first part addresses Chadian society's contact with the Arabic language and explains that this contact occurred after the arrival of Arabs in the region and unfolded in several stages. The second part examines the institutions that disseminated Arab culture in the region. Many of them played this role and became the candle that lit it, and continue to do so, God willing.

Keywords: Culture, Arab, Education, Lake Chad Basin, Central Sudan

مقدمة:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ثم من والاه.

لقد شق الإسلام طريقه إلى القارة الإفريقية بكل يسر وسهولة عبر سواحل البحر الأحمر وباب المندب ومن ثم إلى شرق إفريقيا، ومن مصر إلى الشمال الإفريقي، ثم إلى إفريقيا جنوب الصحراء.

وكما هو معروف فقد استطاعت طلائع الفتح الإسلامي بقيادة عقبة بن نافع الفهري أن تصل إلى منطقة كوار في السودان الأوسط (تشاد).

وقد ازدهرت في ظل الإسلام ممالك وسلطات عديدة في هذه المنطقة وأنشأت مؤسسات قامت بنشر وترسيخ الثقافة العربية الإسلامية ومازالت تعطي ثمارها كل حين بإذن ربها.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع في تناوله مؤسسات تقليدية مهمة قامت بدور فعال في نشر الثقافة العربية الإسلامية والحفاظ عليها، وإظهار أنها اللبنة الأساسية وبدونها لا يمكن أن تنتشر الثقافة العربية الإسلامية.

أهداف الموضوع:

١. يهدف هذا الموضوع إلي توضيح الدور الذي قامت به هذه المؤسسات في هذه المنطقة.
٢. كشف الجهود العظيمة التي بذلها العلماء والشيوخ في خدمة هذه المؤسسات.
٣. توضيح الجانب الإيجابي الذي قامت به المؤسسات ومازالت تقوم به لخدمة الأمة.
٤. منهج الدراسة: المتتبع لهذا الموضوع يلاحظ أن عرض هذه المادة تم بإتباع المنهج التاريخي والوصفي لما لهما من علاقة وطيدة بالمادة المعروضة.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في النقاط التالية:

- هل لهذه المؤسسات وجود حقيقي؟
- ماهي الأدوار التي قامت بها هذه المؤسسات؟
- هل هذه المؤسسات قامت بنشر وترسيخ الثقافة العربية الإسلامية؟
- وماهي المؤسسات التي نتكلم عنها؟

المبحث الأول: إتصال المجتمع التشادي بالثقافة العربية

إن اتصال المجتمع التشادي بالثقافة العربية أو العروبة يرجع إلي مرحلة بعيدة ضاربة في القدم، فالإتصال حدث بعد وصول العرب إليها، وقد مرت هجرات القبائل العربية إلي منطقة حوض بحيرة تشاد بثلاثة مراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الاكتشاف والتمهيد:

دخل العرب المنطقة في وقت مبكر في شكل مغامرة دون سابق معرفة بها، و يصعب تحديد تاريخ لهذه الفترة لانعدام الآثار والمصادر المكتوبة لأن الرواد الأوائل لم يتركوا إلا الروايات الشفهية التي ظل هؤلاء يتداولونها من جيل إلى آخر. ولكن هناك أفراد ينتمون إلى سيف بن ذي يزن وصلوا إلى منطقة حوض بحيرة تشاد، ويمثلون النواة الأولى للعروبة ثقافتها^(١).

(١) إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الأولى، القاهرة ١٩٧٥م، ص ١٣٩.

ورغم شح المعلومات في المصادر المكتوبة، نسلط الضوء على إشارات ذكرها صاحب إنفاق الميسور الذي يقول: أن هناك برابرة شقوا عصا الطاعة في اليمن التي استوطنوها وقضوا فيها زمناً، ثم طردهم الحميريون من اليمن، واستوطنوا قريباً من أرض الحبشة ثم وفدوا إلى كانم واستوطنوها ووجدوا في هذا البلد عجماً تحت حكم أخوانهم الطوارق ويقال لهم إمكينا^(٢). لذا يلاحظ أن البربر يعرفون هذه المنطقة في وقت مبكر، من الفترة التي سبقت الإسلام سواء جاءوا إليها من الشرق أثر حروبهم مع اليمنيين أو من الغرب، تجاه الأرض التي استوطنوها في شمال إفريقيا.

ومن خلال هذه الرواية يظهر لنا أن الحميريين قدموا مع هؤلاء البرابرة الذين وفدوا إلى كانم واستوطنوها، وهو ما تعضده الروايات الشفهية المحلية لشعوب الكانوري والبلالا الذين يزعمون أنهم أحفاد سيف بن ذي يزن. ويقولون أنهم جاءوا من اليمن، والسمات البشرية فيهم ربما تؤكد ذلك، لأن الدم العربي فيهم أكثر من غيرهم^(٣).

لقد أدعى جميع حكام كانم النسب الحميري، وهذا ظاهر في الخطاب الذي أرسله ملك كانم إلى السلطان برقوق حاكم مصر يقول فيه: (فإننا قد أرسلنا إليكم رسولنا. وهو ابن عمي، اسمه إدريس بن محمد من أجل الحاجة التي وجدناها وملوكنا فإن الأعراب الذين يسمون جذاماً وغيرهم قد سبوا أحرارنا، من النساء والصبيان وضعفاء الرجال، وقرابتنا وغيرهم من المسلمين، ومنهم من يشركون بالله، ومارقون من الدين، فغاروا على المسلمين فقتلوهم قتلاً شديداً، لفتنة وقعت بيننا وبين أعدائنا، بسبب تلك الفتنة قد قتلوا ملكنا عمرو بن إدريس الشهيد، وهو أخونا ابن أبينا إدريس الحاج بن إبراهيم الحاج، ونحن بنو سيف بن ذي يزن والد قبيلتنا، العربي القرشي، كذا ضبطناه عن شيوخنا، وهؤلاء الأعراب قد أفسدوا أرضنا كلها، في بلد برنو كافة حتى الآن وسبوا أحرارنا وقرابتنا من المسلمين)^(٤).

نظراً لما ذكر من روايات فإن وجود آثار العروبة في مملكة كانم قبل الإسلام شيء ملموس لا يعترضه شك، ولكن الشك يظهر في انتماهم لسيف بن ذي يزن نفسه لأن السجلات الكانمية تذكر أن سيف وأمه قد قدما من مكة وحكم في كانم عشرين سنة وأنه أقام في العاصمة أنجمي لكنه مات في مدينة سامينا، عاصمة الزغاوة قرب

(٢) محمد بيلو، اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق: بهجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية - الرباط، ١٩٩٦م، ص ٥٥.

(٣) إبراهيم علي طرخان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣.

(٤) أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة الأموية، القاهرة، ١٩١٥م، ج ٨، ص ١٢١.

بحيرة الفترى، وتسميه سجلات برنو سيبو، وهي كلمة سيف^(٥). وإذا دققنا النظر نجد أن هذه السجلات قد كتبت في وقت متأخر تتجاوز القرن الرابع عشر الميلادي، بدليل رسالة الماي عثمان بن إدريس (١٣٩٢ - ١٤٢٤م) التي بعثها إلى برقوق سلطان مصر^(٦).

إذن أن النسب إلى سيف بن ذي يزن وعلاقته بقريش هي مجرد خرافة وأساطير من أساطير برنو المنتشرة فيها، والحقيقة الثابتة علمياً أن سيف وابنه ماتا في اليمن بعد الانتصارات التي حققها على الأحباش بمؤازرة الفرس، مات متأثراً بطعنة من حبشي استبقاه سيف في خدمته. وكان قبل بعثة النبي ﷺ بنحو عشر سنين^(٧).

المرحلة الثانية: وهي مرحلة التأسيس: التي تبدأ من عام ٤٣ هـ (٦٦٦ - ١٠٨٦م) وهذه مرحلة وصول طلائع الفتح الإسلامي بقيادة عقبة بن نافع الفهري إلى منطقة كوار، بعد دخول القائد عمرو بن العاص مصر، وزحف نحو برقة بعد أن فتح الإسكندرية عام ١٩ هـ، توجه بعد ذلك إلى بلاد النوبة، وفرض السيطرة عليها بالمعاهدة المشهورة باتفاقية البقط عام ٦٥٢م. ثم فتحت مناطق برقة وطرابلس إلى فزان حتى وصلت طلائع الفتح الإسلامي إلى كوار. وفي عام ١٩ هـ استعمل عمرو بن العاص عقبة بن نافع بن عبد القيس. وهو ابن خالة عمرو على إفريقية، فأنتهى إلى لواته، ومزاةة، فأطاعوا ثم كفروا، فغزاهم من سنته فقتل وسبى، ثم افتتح في عام ٤٢ هـ غدامس، فقتل وسبى، وفتح في سنة ٤٣ هـ كوراً من كور السودان^(٨).

ويقول الشاطر بصيلي، أن أمراء الأمويين جاءوا إلى كانم وهذا يتناسب مع الحقيقة التي تقول: إن كثيراً من الأمويين قد تدفقوا إلى هذه البلاد بعد استبداد العباسيين، كما يقوي القول وثائق في النسب البرنوي بخلفاء الإسلام التي تنتهي إلى عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١ هـ). ويلاحظ أن هذه الوثائق في النسب قد أهملت الفاطميين والعباسيين^(٩). وعلى كل حال فإن العرب الأمويين قد وصلوا إلى مملكة كانم ونشروا فيها الإسلام وأدخلوا عليها عادات وتقاليدها الجديدة تتمثل في الثقافة العربية

(٥) إبراهيم علي طرخان، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣.

(٦) إبراهيم علي طرخان، مرجع سبق ذكره، ص ٤.

(٧) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الصافي، ط٤، بغداد، ٢٠٠١م، ص ٢١١.

(٨) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد عز الدين، الكامل في التاريخ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت - لبنان، ١٩٩٧م، ص ١٧.

(٩) الشاطر بصيلي عبد الجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، ص ٤٢٥.

الإسلامية، وعند وصولهم وجدوا الكانميين لم تكن لديهم في ذلك الوقت عقيدة ثابتة قوية، كما أوصلوا إليهم ثقافات لم تكن معروفة لديهم مثل: الملابس، وطريقة بناء البيوت^(١٠).

المرحلة الثالثة: مرحلة التحالف والاندماج:

وهذه المرحلة هي أكثر أهمية لأن القبائل العربية استقرت وتمكنت وتحالفت واندمجت في بعضها البعض وتركت آثاراً شملت جميع مجتمعات حوض بحيرة تشاد، وظهرت في كل المجالات الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية وقد ظهر هذا التأثير بسبب انتشار القبائل العربية بكثافة هائلة بحيث أصبحت أكثر أعداداً من كل القوميات المختلفة الموجودة في هذه المنطقة والمنتشرة فيها. وخلال هذه الفترة التي تعتبر المرحلة الأخيرة التي هاجر فيها العرب من الشرق إلى حوض بحيرة تشاد، شهدت هذه المنطقة في تلك الفترة مساهمات عظيمة من هؤلاء العرب غيرت تاريخها الوسيط والمعاصر، وانطعت جميع ممالك هذه المنطقة بطابع الثقافة العربية الإسلامية وأصبحت العربية لغة للدواوين والمراسلات الداخلية والخارجية^(١١).

المبحث الثاني:

المؤسسات التي قامت بنشر الثقافة العربية:

إن اتصال المجتمع التشادي باللغة العربية أو العروبة يرجع إلى مرحلة بعيدة ضاربة في القدم، وأوضحها عند وصول عقبة بن نافع إلى بلاد الكوار بنبستي، ومن خلال هذا الاتصال انسابت الثقافة العربية مع انتشار الإسلام الطبيعي حول بحيرة تشاد^(١٢). وقد انتشرت منذ تلك الفترة وقامت الممالك الإسلامية في العصور الوسطى، حيث أصبحت لغة التعليم الديني، وأداة التخاطب والمراسلة والثقافة بين المسلمين، فضلاً عن كونها لغة المعاملات التجارية والدواوين والمراسلات الدولية ليس فقط عند الممالك التشادية ولكن عند جميع الممالك الإسلامية التي قامت في السودان الأوسط والغربي^(١٣).

وهناك نماذج جميلة متبادلة بين سلاطين الممالك الإسلامية ونظرائهم في العالم العربي الإسلامي كالمراسلات التي جرت بين السلطان برقوق وأبو عمر

(١٠) عبد الحميد السراج، دولة كانم الإسلامية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٥٥.

(١١) عبد الحميد السراج، مرجع سبق ذكره، ص ٥٦.

(١٢) محمد صالح أيوب، مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة، مطابع الصفا، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م، ص .

(١٣) عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤-١٩٦٠م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط الأولى، ١٩٧٢م، ص ١٠٢.

عثمان بن إدريس، وبين محمد الأمين الكانمي، وأمراء دولة سكتو داخل الممالك السودانية^(١٤)، وبين سلاطين الممالك في حوض بحيرة تشاد مثل ما حدث بين سلطان كانم وسلطان مملكة وداي بشأن الذمي ناختيغال.

وأن اللغة العربية كانت مثل الناطقين بها في تفاعلها وفعاليتها، بل أكثر فعالية من أهلها في كثير من الأحيان حيث استطاعت في ظل الكم الهائل من اللهجات واللغات المحلية أن تسيطر وتنشق طريقها نحو شعوب أخرى، ولولا اللغة العربية التي كانت سبابة إلى هذه البلاد ما عرف تاريخ هذه المنطقة قط، فهي الوعاء الحافظ لتاريخه وفكره ونتاجه الأدبي والعلمي، وما يدل على انتشار اللغة العربية ما ذكره توماس أرنولد، (من أن اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم قد بلغت درجة عالية من الذيوع والانتشار حتى غدت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء، وهذا تقدم هائل في الحضارة الأفريقية)^(١٥).

ومن الطبيعي أن تنتشر اللغة العربية في هذا البلد نظراً لموقعه الجغرافي واتصاله بالعرب ووجود القبائل العربية التشادية منذ زمن بعيد، والحقيقة أن اللغة العربية لغة المجتمع التشادي وليست لغة الممالك فحسب ولغة الإدارة عند الممالك التشادية، ولذا نؤكد أن العربية لغة المجتمع التشادي بسبب الدين، ووجود وانتشار القبائل العربية التشادية أولاً، والثاني انتشار الإسلام لأن المسلم يريد أن يفهم الخطاب الديني الموجه إليه فلا مفر له من أن يتعلم العربية ليفهم الفقه والأحكام الشرعية، وهذه العوامل جعلت اللغة العربية تتطور لتشمل العرب وغيرهم، فالعرب كانوا عرباً بطبيعتهم، والأعاجم صاروا عرباً بالإسلام حتى أن بعضهم فقد لسان الأم، لقد وجدت اللغة العربية مكانتها الطبيعية في المجتمع التشادي ورسخت وتوطدت جذورها بكل شموخ، وانبعثت منها لغة عربية محلية وهي اللغة العربية البدوية التشادية^(١٦).

واستخدم الشعب التشادي اللغة كوسيلة علم وتعلم فأقام المجتمع المدارس العربية، في كل مكان حضراً أو مدراً واعترف بوجودها كل من زار هذا البلد، وحتى

^(١٤) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٥م، ج ٨، ص ١٢٠.

^(١٥) كمال الدين الصاوي، ديوان برنو، نموذج ميكرو للغة العربية والإسلام في كانم، ندوة اللغة العربية الواقع والمستقبل في الفترة ص ٢١ - ٢٥ يناير ٢٠٠١م، جامعة الملك فيصل شاد، ص ٣٧٧.

^(١٦) آدم إدريس محمد، العربية لغة الممالك التشادية، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ١٢ - ١٤ / ١٩٩٨م، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ص ١١١.

عندما وصل المستعمر واستولى على هذه المنطقة وجدها عامرة بها وسماها المدارس القرآنية، ومهمتها لا تقف عند تدريس القرآن الكريم وحده بل هي مدارس ثقافية تدرس علوم أخرى مختلفة.

وعندما جاء المستعمر وجد اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة في جميع الممالك التشادية، إلا أن وصول الاستعمار لم يغير من هذه المكانة، رغم محاولاته المتكررة، فقد اعترف الحاكم العسكري الفرنسي بهذه الحقيقة واستقبل رسائل عديدة كتبت باللغة العربية، ما زالت محفوظة في المتحف الوطني التشادي وهناك نماذج منها توجد تحت رقم (٧٦٤) أرسلت بتاريخ ١٥ فبراير عام ١٩٣٥م وهي رسالة إلى الحاكم الفرنسي ديك DIK، وأصدر الحاكم العسكري الفرنسي جريدة باللغة العربية اعترافاً منه بمكانتها وتسمى (كوكب تشاد) الصادرة عام ١٩٥٤م.

يرجع الفضل في تدعيم الحضارة الإسلامية حول بحيرة تشاد وفي جزء كبير منه إلى نظام التعليم الإسلامي الذي كان سائداً في هذه المنطقة منذ أن وصلها الإسلام وظلت بقاياه إلى اليوم^(١٧).

ومن أكبر العوامل التي ساعدت في انتشار التعليم العربي وترسيخه، انتشار الإسلام والعروبة، وكلما انتشر الإسلام والعروبة انتشرت اللغة العربية لأن بها يفهم القرآن الكريم والسنة النبوية، ومما ساعد في انتشارها عدم جواز ترجمة نص القرآن باللهجات المحلية في الصلاة والمحافظة على الإسلام واللغة العربية^(١٨).

وهناك العديد من المؤسسات التي قامت بدور فاعل في ترسيخ الحضارة الإسلامية واللغة العربية ودفع التعليم العربي الإسلامي في حوض بحيرة تشاد وأهم هذه المؤسسات على وجه الإطلاق هو المسجد.

١. **المسجد:** هو المركز الأول الذي انتشرت منه الثقافة الإسلامية منذ ظهور الإسلام وإلى اليوم، فهو مؤسسة اجتماعية يتعلم فيها المسلمون النظام والمساواة ويمارسون فيه العبادات والإخاء والانضباط، وهو من أهم دور التعليم في كل مناطق ودول العالم الإسلامي، وهو مركز الإشعاع الحضاري لدى المسلمين، ويعتبر منارة العلم والدين

^(١٧) محمد صالح أيوب، الدور الاجتماعي والثقافي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي، في دار وداي تشاد (١٨٥٣ - ١٩١٧م)، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط١، ٢٠٠١م، ص ١١١.

^(١٨) عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال، مرجع سبق ذكره، ص ١٠١.

والموجه الأول في حياة المسلمين، وقد حث النبي ﷺ أصحابه على بناء المساجد واتخاذها مكاناً للعلم وتلقين المسلمين قواعد هذا الدين^(١٩).

ونظراً لهذا الدور الذي تقوم به المساجد منذ إنشائها وحتى اليوم نجد جل المعاهد والمدارس العربية الإسلامية في عهدها الأول وحتى اليوم في تشاد تحتضنها المساجد، فمثلاً نجد معهد أم سويقو العلمي الإسلامي رائد المعاهد العربية الإسلامية وناسر لوائها في تشاد كان وما زال باقياً يؤدي رسالته بشكل مستمر، وأن هذا المعهد هو الذي أسسه الشيخ عليش عووضة عام ١٩٤٣م بعد رجوعه إلى تشاد وبعد إتمام دراسته الجامعية في الأزهر الشريف، واستمر هذا المعهد وأدخل الشيخ إدارته ومناهجه الدراسية تحت إشراف الجامع الأزهر، فتطور المعهد بسرعة أذهلت السلطات الفرنسية، حيث بلغ عدد تلاميذه في فترة وجيزة أكثر من ثلاثمائة وخمسين تلميذاً، فأعاققت الإدارة الفرنسية تقدمه فحاربته بقصد محاربة اللغة العربية والثقافة الإسلامية في البلاد فحاكت حوله المؤامرات، ثم أمرت بإغلاقه في عام ١٩٥٢م ونفت مؤسسه إلى السودان^(٢٠).

وعلى الرغم من ذلك ظل الطلبة الذين تخرجوا من هذا المعهد بالاشتراك مع زملائهم الذين عادوا من الأزهر يواصلون نشاطهم في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وقد ساهم المعهد في ازدهارها وانتشارها ليس في تشاد وحدها بل في جميع أنحاء دول وسط أفريقيا وغربها وغرب السودان وخاصة المناطق المتاخمة للحدود التشادية مثل مدينة الجنيينة وغيرها، حيث يقوم الآباء بإرسال أبنائهم إلى مدينة أبشة لتلقي العلم الشرعي واللغة العربية^(٢١).

وهناك معهد آخر وهو معهد بستان العارفين بمدينة أبشة كان وما زال في الجامع العتيق، وهذا المعهد أسس عام ١٩٥٣م ومؤسسة هو الشيخ مصطفى محمد إبراهيم، وما زال هذا المعهد يساهم في نهضة التعليم العربي الإسلامي في تشاد^(٢٢).

^(١٩) فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، كلية الدعوة، ليبيا، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٥٠.

^(٢٠) عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٢.

^(٢١) أحمد الزايم بركة الله، الصراع الثقافي وأثره في تشاد، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أمدرمان الإسلامية ٢٠٠٧م، ص ٧٧.

^(٢٢) أبو القاسم بشر محمد، وضع اللغة العربية في سلطنة وداي الإسلامية في عهدها الثلاثة ١٩٥٣ - ٢٠١٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص ١٧٦.

وهناك مدارس أخرى بمدينة أبشة مثل: مدرسة روضة الأحباب، ومدرسة الرياض، ومدرسة دار السعادة، ومدرسة حديقة الأنوار، ومدرسة الرضا، كلها أنشئت في المساجد، ومعاهد أخرى في تشاد كانت وما زالت تعمل في المساجد، منها معهد التربية الإسلامية بفورت لامي، الذي أسسه السيد محمد الطيب الطاهر عام ١٩٥٣م، ومعهد الثقافة الإسلامية بفورت لامي، الذي أسسه صالح مبروك مسعود عبد الغني، عام ١٩٥٤م، ومعهد المركز الإسلامي بفورت لامي، الذي أسسه السيد إسماعيل عبد الله تلوب عام ١٩٥٥م، ومعهد النهضة العربية بفورت لامي الذي أسسته السيدة فرغلية ككلي شكري عام ١٩٥٨م، ومدرسة الجامع الكبير بفورت لامي التي أسسها الشيخ الإمام موسى إبراهيم ضيف عام ١٩٦٢م^(٢٣).

٢. المسيح:

من المؤسسات العريقة التي ساهمت مساهمة فعالة في نشر وترسيخ الثقافة العربية الإسلامية في كل أقطار العالم الإسلامي المسيح، والمسيح بهذا اللفظ مصطلح متعارف عليه عند عرب البدو، ويطلق عليه غيرهم في تشاد اسم المسيك، وآخرون وهم قلة متأثرة بتأثير سوداني حديث يسمونه المسيد، وفي كلا الحالات هو تصغير لكلمة مسجد أي مسيبد، فحذفت منها الدال للتخفيف بحكم اللهجات المحلية، فأصبحت مسيبد^(٢٤).

والمعنى الاصطلاحي للمسيح (هو المكان الذي يتم فيه تعليم النشء من الصبية القرآن الكريم)، ويشرف على هذا المسيح شيخ يكون حافظاً لكتاب الله متقناً له يدعي عندهم (القوني*) أو (المسير**) فيعلم الصبية القرآن الكريم^(٢٥). والمسيح يقوم مقام المسجد في القرى الصغيرة ومنازل البدو وبعض الحارات في المدن الكبيرة، وهو مكان للذكر وحفظ القرآن، وفيه يجلس المعلمون

^(٢٣) محمد زين نور، الاستعمار الفرنسي وأثره على الشخصية الإسلامية في تشاد، جامعة أفريقيا العالمية، د. ت، ص ٢٥٥.

^(٢٤) القوني إدريس أحمد عثمان، النظام التعليمي في الخلاوي القرآنية التشادية، بحث قدم في ندوة التعليم العربي الإسلامي وأثره في التنمية والتطور في أفريقيا، جامعة الملك فيصل، ٢٠٠٤م، ص ١٥.

* القوني هي أعلى درجة يصل لها دارس القرآن الكريم حيث يتقن القرآن قراءة ورسمًا وعداً، القوني إدريس أحمد، المرجع نفسه، ص ١٦.

** المسير، هو الشخص الذي حفظ القرآن وأتقنه ولكنه لم يصل إلى مرحلة القوني.
^(٢٥) المرجع نفسه، ص ١٦.

يلقنون الناس كباراً وصغاراً القرآن الكريم وعلوم الفقه والتوحيد وقواعد اللغة العربية^(٢٦).

والمسيح في منطقة حوض بحيرة تشاد أنواع منها:

١. المسيح العام.
٢. المسيح الخاص.
٣. مسيح القوني.
٤. مسيح البادية.
٥. مسيح القرية.

وما يهمننا من هذه المسايح هما مسيح البادية، ومسيح المدينة – مسيح البادية، أو الدامرة، ومسيح البادية يؤسسه أحد أبنائهم عندما يرجع من المهجر الذي قضى فيه فترة من الزمن وهو حافظاً لكتاب الله فيستقبله أهله في البادية ويجمعون له الأولاد من مختلف الفرقان ليقوم بتعليمهم، وإرشاد الكبار في أمور دينهم، وقد يستمر مسيح البادية وقد ينتقل بانتقال الشيخ من مكان إلى آخر، وغالباً ما ينتقل معه تلاميذه، ويتجول بهم إلى ما شاء الله، وفي كثير من الأحيان يقصدون المدن الكبيرة لأنها تزودهم بالعلم والمعرفة وتحسين ظروفهم الاجتماعية، ويمارسون التلاميذ في هذه الحالة المهجر، مسيح القرية، ما يميز مسيح القرية عن مسيح البادية هو أن مسيح القرية مستقر، وتلاميذه يمارسون مختلف نشاطهم، ويجمعون عند أوقات الدراسة فقط، وشيخ مسيح القرية هو الإمام الذي يؤم الناس في الصلوات، والمسيح في القرية هو المكان الذي يجتمع فيه الكبار لمناقشة قضاياهم وحلها^(٢٧).

مسيح المدينة، وللمدينة أنواع من المسايح، منها المسيح العام، الذي يديره عدة مشايخ ويجتمع فيه عدد كبير من أبناء الحارات المختلفة، وقد يكون في حوش كبير يختار لهذا الغرض أو في مسجد من مساجد المدينة، أو في بيت من بيوت العلماء وما أكثر هذه المسايح.

وهناك نوع آخر من مسايح المدينة، وهو المسيح الخاص الذي يقام في بيت من بيوت أحد أفراد المجتمع لتدريس أبنائه أو أبناء أقربائه فيختار لقيادته شيخ من شيوخ القرآن الكريم فيدرس الأبناء ويقوم بتعليمهم. وهناك مسيح آخر وهو أيضاً منتشر في تشاد وهو مسيح القوني أو مدرسة القوني، وهي تشمل الصغار والكبار، فبالنسبة للصغار يقرؤون فيها كما يقرؤون في المسايح الأخرى، أما الكبار الذين

^(٢٦) محمد صالح أيوب، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٣.

^(٢٧) محمد صالح أيوب، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٤.

تقدموا في قراءة القرآن الكريم يذهبون إليها لتصحيح ألوأهم، وهي غالباً تقام في بيوت القوانا^(٢٨).

تعد هذه المسايح القرآنية هي الوسيلة الوحيدة لنقل الثقافة العربية الإسلامية إلى الأجيال اللاحقة والمحافظة بها على الهوية الإسلامية في مواجهة التأثير الفرنسي^(٢٩).

٣. الحلقات:

وهي جمع حلقة وهي في اللغة العربية الدائرة مفرغة الوسط. وفي اصطلاح الدارسين في منطقة نشاد، هي المكان الذي يتلقى فيه الطلبة العلم من الشيخ، وغالباً ما تكون الحلقة في بيت الشيخ، أو في المسجد، أو في بيت أحد الأعيان، فتدرس فيها العلوم الدينية، وأهمها الفقه، والتوحيد، والحديث، وتفسير القرآن واللغة العربية، ويقبل المسلمون في تشاد على هذه الحلقات أو المدارس بحماس وانسراح، ويتتلمذ فيها الطلاب بمختلف أعمارهم، وأنواع الكتب التي تدرس فيها عديدة، تبدأ من الكتب الصغار ويتدرجون حتى يصلون إلى أمهات الكتب^(٣٠).

٤. الخلوة:

إن الخلوة من حيث التعريف اللغوي، عرفها ابن منظور في معجم لسان العرب، خلا: خلا المكان والشيء يخلو خلواً وخلاء، وأخلا إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه وهو خال، والخلاء من الأرض فرار خلال، ومكان خلاء: لا أحد به، ولا شيء فيه، وأخلى المكان: جعله خالياً، وأخلاه: وجده كذلك، وخلاء وخلوة اجتمع معه في خلوة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾^(٣١).

وقيل الخلاء والخلوة: هما المصدر، والخلوة هي الاسم^(٣٢). أما التعريف الاصطلاحي للخلوة: فينقسم إلى معنيين الأول الخلوة، هي المكان الذي يقصده المرء ليخلوا فيه وينقطع تماماً عن الناس للذكر أو العبادة، والخلوة بهذا المفهوم قد تكون مسجداً، أو غرفة منعزلة، أو مظلة أو كهف، أو غير ذلك، أما المعنى الثاني، الخلوة هي المكان الذي يقصده الناس للتفرغ لدراسة القرآن

^(٢٨) القوني إدريس أحمد عثمان، مرجع سبق ذكره، ص ٢٣.

^(٢٩) محمد صالح أيوب، مظاهر الثقافة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص ٦٤.

^(٣٠) عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال، مرجع سبق ذكره، ص ١٠١.

^(٣١) سورة البقرة، الآية ١٤.

^(٣٢) أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، (مادة خلا)، ص ١٢٤٥.

الكريم وعلوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية، وقد يكون مسجداً أو مبني مستقلاً خصص لهذا الغرض^(٣٣).

ولا يختلف مفهوم الخلوة في تشاد عن مفهومها في أغلب البلدان الإسلامية، وأن اختلفت مسمياتها على حسب البيئات المختلفة التي نشأت فيها^(٣٤).

ففي مصر، وفي كثير من بلاد المشرق العربي يطلقون على الخلوي اسم (الكتاب) والكتاب يجمع على كتاتيب، ويطلق على الأولاد الذين يتعلمون الكتابة والقراءة لأن اسم الكتاب مأخوذ من الكتابة، وهي أول ما يتعلمه الصبي في هذا المكان، لتكون طريقة إلى تعلم القرآن الكريم وغيره من العلوم، لأن العرب في جُل بلادهم وعلى امتداد تاريخهم سموها بهذا الاسم^(٣٥).

وفي السودان يسمونها المسيد، بقلب الجيم دالاً وهي أيضاً تصغير كلمة مسجد، وفي شمال أفريقيا يسمونها زوايا، ومفردها زاوية، وهي في شكل دور صغيرة أو مساجد صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويعقدون فيها حلقات الذكر ودراسة العلوم الدينية، وتطلق كلمة زوايا على المعاهد والروابط التي تنشئها الطرق الصوفية، وقد انتشرت هذه الزوايا في كثير من المدن الصغيرة والقرى والبوادي، وقامت بتعليم المبادئ الإسلامية، ورغم تعدد الأسماء على حسب اللغات واللهجات، والبيئات المختلفة، لكنها عموماً تعنى المكان الذي يجتمع فيه الأولاد حول معلمهم وشيخهم يتعلمون منه القرآن الكريم قراءة وكتابة وحفظاً والأدب والعلوم المختلفة المتعلقة بدينهم الحنيف، وكل هذه التسميات تعمل لهدف واحد وهو نشر العلم والمعرفة^(٣٦).

وتعتبر هذه المرحلة هي الحجر الأساسي في التعليم، وهي البوابة الأولى التي يدخل منها الطالب إلى مدخل العلم، فعندما يصل عمر الصبي إلى السابعة يهديه والده إلى معلم الخلوي لتعليمه مبادئ القراءة والكتابة العربية، وتحفيظ النصف الأخير من القرآن وكذلك تدريبه على الصلوات الخمس^(٣٧).

^(٣٣) فضل كلود الدكو، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٨.

^(٣٤) القوني إدريس أحمد عثمان، مرجع سبق ذكره، ص ٤.

^(٣٥) بكر محمود العشري، الكتاتيب الغراء في أفريقيا جنوب الصحراء مطبعة دار البنك، مصر، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٥٦.

^(٣٦) القوني إدريس أحمد عثمان، مرجع سبق ذكره، ص ٥.

^(٣٧) الهادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الوحدة العربية، ط١، ليبيا، ٢٠٠٠م، ص ١٦٣.

٥. الطرق الصوفية:

وفي مجال نشر وترسيخ التعليم الديني واللغة العربية والثقافة والحضارة العربية الإسلامية، بذلت جهود أخرى إلى جانب الجهود التي قامت بها المدارس والمعاهد الدينية والخلوات القرآنية، والحلقات العلمية، تلك هي جهود رجال الطرق الصوفية، كالقادرية والسنوسية، والتجانية، وخاصة الطريقة التجانية التي قام المقدمون فيها بجهود جبارة في نشر الإسلام ومبادئه فضلاً عن اللغة العربية والثقافة الإسلامية^(٣٨).

ومن الوسائل الهامة التي ساعدت في نشر الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا عموماً، وفي تشاد خصوصاً الطريقة التجانية، سواء عن طريق حلقات التعليم الدينية واللغة العربية، التي ظهر من خلالها العديد من زعماء الطريقة التجانية الذين أجادوا العلوم المختلفة، وساهموا في نشر الحركة الثقافية وخاصة تداول الكتب العربية، مع التركيز على التي تتناول نشاطات الطريقة، وحقيقة الطريقة التجانية هي طريقة علم ومعرفة وعمل وإخلاص، وكل المتمسكين بها من أجلة العلماء الذين هم المرجع في الإسلام وعلومه لمسلمي البلاد، ومن الملاحظ على علماء هذه الطريقة ومريديهم أنه ينتشر فيما بينهم التنافس حول إتقان اللغة العربية خاصة الشعر الذي يعتبر المادة الأساسية للمدائح النبوية، عندهم لدرجة أنه أصبح لغة التخاطب في التعبير عن المشاعر بين شيخ وآخر^(٣٩).

إن الدور الذي قامت وما زالت تقوم به الطرق الصوفية وعلى رأسها الطريقة التجانية في نشر الإسلام والمحافظة على بقاءه وسيطرته على سكان المنطقة أمر لا ينكره منصف فقد كان كبار الحفاظ والقراء والعلماء والأدباء في هذه البلاد من المتصوفين.

ويلاحظ أن مؤسسات التعليم الإسلامي قد دعمت الحضارة الإسلامية واللغة العربية في هذه المنطقة دعماً كبيراً من خلال نشرها للثقافة الإسلامية في مناطق واسعة من وسط أفريقيا إلا أن أكبر دعم قدمه التعليم الإسلامي قد حدث بعد التحدي

^(٣٨) عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٥.

^(٣٩) محمد صالح أيوب، مجتمعات وسط أفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، ليبيا، ١٩٩٢م، ص ٢٩.

الذي فرضه الاستيعاب الفرنسي على المجتمع التشادي، فقد كان الملاذ الوحيد الذي حافظ على الهوية الإسلامية التشادية، وقد فرضت عمليات التدريب الثقافي الفرنسي على القائمين بالتعليم العربي الإسلامي وتطويره لكي يواكب هذه التحديات قام بالانفتاح على البلاد الإسلامية والاستفادة من تجاربها وخبراتها في هذا المجال، فأرسلت البعثات العلمية سواء بطريقة فردية أو من خلال الممالك الإسلامية سابقاً إلى المراكز الإسلامية الكبرى مثل: معاهد السودان الدينية، والأزهر، والزيتونة للتعرف على أنجح الطرق لاكتساب التعليم الذي يمكن من خلاله مواجهة الغزو الثقافي الذي تطبقه الإدارة الفرنسية^(٤٠).

وقد تركزت جهود العلماء في الداخل على تأسيس بنية تعليمية عربية حديثة، بالإضافة إلى الاستعانة بجميع وسائل التعليم التي كانت موجودة في السابق، وبذلك تم تأسيس بعض المعاهد والمدارس العربية، وقامت بدورها بأكمل وجه في تقدم وترسيخ الثقافة العربية منذ نشأتها وحتى اليوم، وقد ظلت تعطي أكلها كل حين باذن ربها.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة في صفحاتها البسيطة موضوعاً مهماً وهو دور المؤسسات التقليدية في نشر وترسيخ الثقافة العربية في تشاد، وتنازلت العديد من المؤسسات التقليدية التعليمية منها المسجد وهو المركز الأول الذي انتشرت منه الثقافة الإسلامية والعربية والمسيح والحلقات العلمية، والطرق الصوفية، ووصلت الدراسة إلى النتائج والتوصيات التالية:

النتائج:

١. ساهمت هذه المؤسسات التقليدية في دعم الممالك والسلطات الإسلامية في منطقة حوض بحيرة تشاد عموماً وفي تشاد على وجه الخصوص.
٢. كان لهذه المؤسسات دوراً مشهوداً في دعم الثقافة الإسلامية واللغة العربية في المنطقة.
٣. حافظت هذه المؤسسات على مكانتها ومكانت الثقافة الإسلامية والعربية وظلت ترعاها حتى اليوم.

^(٤٠) محمد صالح أيوب، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٦.

التوصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

إن هذه المؤسسات التقليدية العريقة تحتاج إلى دعم ورعاية من قبل الدولة الحديثة.

يجب علي متقفي اللغة العربية الوقوف مع هذه المؤسسات لأنها اللبنة الأساسية في إنشاء المؤسسات التعليمية العربية والحافظ الأول والأخير لها.



المراجع

١. إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الأولى، القاهرة ١٩٧٥م.
٢. محمد بيلو، اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق: بهجة الشاذلي، منشورات معهد الدراسات الإفريقية – الرباط، ١٩٩٦م.
٣. أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الطبعة الأموية، القاهرة، ١٩١٥م، ج ٨.
٤. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الصافي، ط ٤، بغداد، ٢٠٠١م.
٥. ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد عز الدين، الكامل في التاريخ تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب بالعربي، ط ١، بيروت – لبنان، ١٩٩٧ م.
٦. الشاطر بصيلي عبد الجليل، تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلي القرن التاسع عشر الميلادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
٧. عبد الحميد السراج، دولة كانم الإسلامية، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القاهرة، ١٩٧٣م.
٨. محمد صالح أيوب، مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في تشاد المعاصرة وتحديات العولمة، مطابع الصفاء، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م.
٩. عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (١٨٩٤-١٩٦٠م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط الأولى، ١٩٧٢م.
١٠. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٥م.
١١. توصية السلطان عمر بن محمد الأمين الكانمي إلى سلطان وداي، سنة ١٨٧٢م.
١٢. كمال الدين الصاوي، ديوان برنو، نموذج مبكر للعروبة والإسلام في كانم، ندوة اللغة العربية الواقع والمستقبل في الفترة ص ٢١ – ٢٥ يناير ٢٠٠١م، جامعة الملك فيصل بن تشاد.

١٣. آدم إدريس محمد، العربية لغة الممالك التشادية، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الاقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ١٢ - ١٤ / ١٩٩٨م، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.
١٤. محمد صالح أيوب، الدور الاجتماعي والثقافي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي، في دار وداي تشاد (١٨٥٣ - ١٩١٧م)، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط١، ٢٠٠١م.
١٥. فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، كلية الدعوة، ليبيا، ط١، ١٩٩٨م.
١٦. أحمد الزايم بركة الله، الصراع الثقافي وأثره في تشاد، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أمدرمان الإسلامية ٢٠٠٧م.
١٧. أبو القاسم بشر محمد، وضع اللغة العربية في سلطنة وداي الإسلامية في عهدها الثلاثة ١٩٥٣ - ٢٠١٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٦م.
١٨. محمد زين نور، الاستعمار الفرنسي وأثره على الشخصية الإسلامية في تشاد، جامعة أفريقيا العالمية، د. ت.
١٩. القوني إدريس أحمد عثمان، النظام التعليمي في الخلاوي القرآنية التشادية، بحث قدم في ندوة التعليم العربي الإسلامي وأثره في التنمية والتطور في أفريقيا، جامعة الملك فيصل، ٢٠٠٤م.
٢٠. أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، (مادة خلا)
٢١. بكر محمود العشري، الكتاتيب الغراء في أفريقيا جنوب الصحراء مطبعة دار البنك، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٢. الهادي المبروك الدالي، التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الوحدة العربية، ط١، ليبيا، ٢٠٠٠م.
٢٣. محمد صالح أيوب، مجتمعات وسط أفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية، مركز البحوث والدراسات الأفريقية، سبها، ليبيا، ١٩٩٢م.